قابله: رائف زريق*

"الولايات المتحدة مرتاحة من الوضع الراهن"

الكاتب والصحافي الأميركي بيتر بينارت: نحن أمام سؤال كيفية إدارة الدولة ثنائية القومية القائمة بالفعل

ننشر في ما يلي مقابلة كان أجراها المحرر رائف زريق مع الكاتب والناشط بيتر بينارت، وهو صحافي وكاتب أميركي يعمل اليوم محررًا لموقع ومجلة جويش كارينتس Jewish currents.

لمع اسم بيتر في السنة الأخيرة بعد مقالات عدة حول القضية الفلسطينية عبّر فيها عن ضرورة التخلي عن فكرة حل الدولتين والتحول نحو فكرة الدولة الواحدة ودعم حق العودة للاجئين الفلسطينيين. هدف المقابلة هو التعريف ببيتر وبمواقفه، والآراء والتعابير الواردة في المقابلة هي طبعًا آراؤه وتعابيره هو، ونقدمها كما هي.

ونلفت انتباه القارئ إلى مقال بيتر بينارت المنشور بعد المقابلة مباشرة، وفيه يثير مسألة مهمة تتعلق بأهمية العمل من أجل إحداث تغيير مستحق في المواقف العامة والرسمية في الغرب من نضال الفلسطينيين لنيل حقوقهم.

سؤال : هل يمكنك أن تخبرنا عن نفسك وخلفيتك؟ كيف تطورت أفكارك ورؤيتك إلى ما هي عليه اليوم؟

والداي جنوب إفريقيين هاجرا إلى الولايات المتحدة الأميركية. ولذا لطالما شعرت أن هناك هوية مزدوجة في منزلي. من ناحية، كانت صهيونية قوية في جنوب أفريقيا لأن الجالية اليهودية هناك لديها انتماء كبير

* محرر «قضايا إسرائيلية»

للصهيونيـة. ويمكـن القـول إن هـذا الانتمـاء مصـدره يكمـن في أن تلـك الجاليـة كانـت بطريقـة أو بأخـرى تحتـاج إلى دولـة إسرائيـل لأنهـا لـم تكـن بعـد متأكـدة مـا إذا كانـت دولـة جنـوب أفريقيـا آمنـة بالنسـبة لليهود عـلى المـدى البعيـد. كان هـذا شـعورًا سـائدًا لـدى معظـم الجاليـات اليهوديـة خـارج الولايـات المتحـدة، الذيـن شـعروا بالهشاشـة وبالتـالي اعتقـدوا بـأن إسرائيـل سـتمنحهم إحساسًـا بالأمـان. هـذا كان ينطبـق أيضًـا عـلى عائلتـي. خاصـة جدتـي التـي ولـدت في مـصر، ثـم نشـأت في الكونغـو في فـترة الاسـتعمار البلجيكـي، وكانـت تشـعر دائمًـا بـأن أي مـكان أو «موطـن» هـو مـكان مؤقـت وعابـر باسـتثناء دولـة إسرائيـل. فقـد كانـت بالنسـبة لهـا بمثابـة الموطـن الدائـم الوحيـد الـذي يمكـن أن تحصـل عليـه.

ومـن ناحيـة أخـرى، كنـت نشـأت في ظـل نظـام الفصـل العنـصري في جنـوب أفريقيـا. وأعتقـد أن والـدَيّ كانـا يعارضـان الفصـل العنـصري وكان هـذا أصـلًا أحد الأسـباب الرئيسـية التـي دفعتهمـا إلى المغـادرة (الهجـرة إلى الولايـات المتحـدة). وهكـذا عندمـا بـدأت في الانخـراط في نقاشـات حـول إسرائيـل عندمـا كنـت مراهقًـا خـلال الانتفاضـة الأولى، وكان والـدي يعمـل في إسرائيـل، وكان أسـتاذًا في معهـد ماساتشوسـتس للتكنولوجيـا. فبـدأت أقـضي بعـض الوقـت هنـاك. بالطبـع كان لـدي شـعور قـوي يجعلنـي مـن مؤيـدي قيـام دولـة لليهـود. ولكـن مـن ناحيـة ثانيـة، بـدأت أرى أن هنـاك بعـض أوجـه التشـابه (مـع جنـوب أفريقيـا)، ويمكـن تلخيـص هـذا التشـابه في أن الأشـخاص الذيـن يملكـون النفـوذ والسـلطة دائمـا قـادرون عـلى تبريـر الأمـور بطريقـة عقلانيـة لكنهـا سـطحية جـدًا. ولكـن عنـد التمعـن في الواقـع داخـل إسرائيـل فإنـك ستكتشـف أن الأمـر هـو مجـرد تبريـر وإعطـاء أعـذار لأمـور تعتـبر غـير أخلاقيـة تمامًـا.

في جنـوب أفريقيـا، كان اليهـود بشـكل عـام (ومـن بينهـم أهـلي هنـاك) مـن العـرق الأبيـض، وبالتـالي فقـد اسـتفادوا بشـكل أو بآخـر مـن الامتيـازات التـي منحـت للبيـض، وبالتـالي شـاركوا في ممارسـة القـوة عـلى الرغـم مـن أنهـم كانـوا غـير مرتاحـين إلى حـدّ مـا. منحتنـي كل هـذه التجربـة القـدرة عـلى رؤيـة إسرائيـل مـن زاويـة مختلفـة، وهـي رؤيـة لا يمتلكهـا معظـم اليهـود الذيـن لـم تكـن لديهـم تجربـة داخـل جنـوب أفريقيـا.

لـذا، كنـت أصـارع لإيجـاد تـوازن مـا بـين الأمريـن: مـن جهـة بـين مـا أراه حاجـة لليهـود لإنشـاء دولـة والعيـش بأمـان، وبـين كل تلـك الأسـئلة الأخلاقيـة (التـي تترتـب عـلى نظـام الحكـم والسـيطرة). وبـدا لي أن قيـام دولـة فلسـطينية إلى جانـب دولـة يهوديـة يمكـن أن يسـاعد في موازنـة هـذه الأمـور وحـل هـذه المشـكلات. مـع الوقـت أصبحـت الأمـور معقـدة أكثـر. وقـد تحدانـي العديـد مـن الفلسـطينيين الذيـن كانـوا يناقشـونني وكأنهـم يقولـون: لقـد أصبـح هـذا الأمـر مجـرد عـذر لاسـتمرار الوضـع الراهـن كمـا هـو عليـه. قـد كان مـن الصعـب بالنسـبة لي الـرد عليهـم. وبعـد ذلـك، وبمجـرد أن بـدأت أفكـر في البدائـل، بـدأت أفكـر ليـس فقـط في مسـألة مـا إذا كان التقسـيم ممكنًـا (أي حـل الدولتـين)، ولكـن إذا مـا كان التقسـيم بحـدّ ذاتـه أمـرًا أخلاقيًـا أو لا. خاصـة عندمـا يتعلـق الأمـر بمسـألة اللاجئـين وحـق العـودة، وهـي التـي كتبـت عنهـا في وقـت سـابق مـن هـذا العـام.

كان هنـاك ادعـاء سـخيف لـم أسـتطع التغـاضي عنـه، وهـو أن اليهـود يطالبـون بحـق العـودة بعـد رحلـة شـتات اسـتمرت نحـو ٢٠٠٠ عـام، بينمـا يتـم حرمـان الفلسـطينيين مـن حـق العـودة بعـد ٧٥ عامًـا. بالنسـبة لي بـدت هـذا المفارقـة المسـتحيلة أمـرًا سـخيفًا. ولـذا فـإن حل الدولتـين ليـس فقـط أمـرًا غـير مُجـدٍ، بـل إنـه يتطلـب أن تكـون المواطنـة الفلسـطينية داخـل إسرائيـل مواطنـة مـن الدرجـة الثانيـة. لا يمكـن للفلسـطينيين داخـل إسرائيـل أن يكونـوا مواطنـين مـن الدرجـة الأولى في دولـة يهوديـة، وهـو أمـر بديهـي جـدًا. وهـذا أيضًـا يتطلـب مـن الفلسـطينيين القـول إنهـم لا يريـدون العـودة إلى الأماكـن التـي ينتمـون إليهـا (وهُجـروا منهـا). ويبـدو لي أنـه يجـب عـلى اليهـود جميعًـا أن يفهمـوا عمـق هـذه الإشـكالية، وأن يكونـوا عـلى درايـة بأهميـة معالجتهـا. هـذا مـا قادنـي في النهايـة إلى فكـرة المسـاواة داخـل دولـة ثنائيـة القوميـة.

سـؤال : أريـد أن اسـتفزك قليـلًا وأدفعـك للتفكـير معـي بموضـوع الدولـة الواحـدة ثنائيـة القوميـة التـي قـد تبدو وكأنهـا حلـم وردي. كـم دولـة ثنائيـة القوميـة موجـود في العالـم وتعتـبر ناجحـة، خصوصًـا عندمـا نتحـدث عـن مجموعتـين تأتيـان مـن عالمـين مختلفـين، ولـكل جماعـة ديانـة، تجـارب وخلفيـات مختلفـة، وهنـاك الكثـير مـن الغضـب والكراهيـة. لـذا فمـن المحتمـل أن تكـون الدولـة الواحـدة ثنائيـة القوميـة بمثابـة الحلـم: حـل مقبـول أخلاقيًـا، لكنـه غـير ممكـن سياسـيًا. مـا رأيـك؟

إن إسرائيل اليوم هي فعلًا دولة ثنائية القومية. لذا فالمسألة ليست إنشاء دولة ثنائية القومية من الصفر، فهذا ما هو موجود الآن. تمتلك إسرائيل السيادة من النهر إلى البحر، ونصف السكان في هذه المنطقة، وربما أكثر من نصف هم، هم فلسطينيون. ما لم تكن تخطط لطرد هؤلاء الفلسطينيين إلى خارج الحدود، أو ما لم تكن تخطط لمنح الفلسطينيين دولة خاصة بهم، فنحن أمام سؤال: كيف نقوم بإدارة الدولة ثنائية القومية الموجودة بالفعل؟

(الضيف ضاحكًا). أنت تبدو تمامًا مثل معظم اليهود الأميركيين الذين أتناقش معهم.

أعتقد أنني سأبدأ بالقول إن إسرائيل اليوم هي فعلًا دولة ثنائية القومية. لذا فالمسألة ليست إنشاء دولة ثنائية القومية من الصفر، فهذا ما هو موجود الآن. تمتلك إسرائيل السيادة من النهر إلى البحر. ونصف السكان في هذه المنطقة، وربما أكثر من نصف هم، هم فلسطينيون، أليس صحيحًا؟

ما لم تكن تخطط لطرد هؤلاء الفلسطينيين إلى خارج الحدود، أو ما لم تكن تخطط لمنح الفلسطينيين دولة خاصة بهم -والتي ستبقي بالمناسبة على العديد من الفلسطينيين داخل إسرائيل- وأنا لا أعتقد أن الدولتين أمر ممكن، ولا أعتقد أن الطرد مقبول. وبالتالي فنحن أمام سؤال: كيف نقوم بإدارة الدولة ثنائية القومية الموجودة بالفعل، أليس كذلك؟ نعم، إن الدول ثنائية القومية صعبة للغاية، ليس هناك شك في ذلك. لكن محاججتي تكمن في أن الدول ثنائية القومية ستكون أكثر سلامًا واستقرارًا عندما يتم تمثيل كلتا المجموعتين في الحكومة، وليس عندما يتم وضع قيود على إحدى المجموعتين أو يتم استثناؤها.

لأنه عندما يتم استثناء إحدى القوميتين داخل الدولة ثنائية القومية، فإن المستَثنيين لن يكون أمامهم خيار سوى استخدام العنف بهدف الحصول على تمثيل سياسي لمصالحهم. في حين أنه إذا كان بإمكانك التصويت فإن الأمر سيختلف. حسنًا، قد تكون هناك عراقيل أحيانًا... لكن لا بأس. مثلًا، ذات مرة استغرق الأمر من بلجيكا (التي تعتبر دولة ثلاثية القومية) أكثر من ٥٠٠ يوم لإنشاء حكومة؟ أنا أقر أن الأمر مزعج، ويمكن أن يكون بطيئًا، وغير مريح، ولكن السياسة تخلق إمكانية التفاعلات السلمية.

حتى داخل الخط الأخضر، حيث من الواضح أن الفلسطينيين هم مواطنون من الدرجة الثانية. مجرد حقيقة أن الفلسطينيين يمكنهم التصويت تعني أن شخصًا مثل منصور عباس سيقول: ربما يمكنني الحصول على شيء من خلال الدخول في هذه الحكومة، وهو أمر ما لا تملكه عندما تكون عديم الجنسية أو غير مواطن.

يمكننا التحدث عن بلجيكا كدولة متعددة القوميات، أو إيرلندا الشمالية. ما يحبطني هو عندما أسمع الكثير من يهود الولايات المتحدة أو اليهود الإسرائيليين يقولون إن دولة ثنائية القومية ستكون عنيفة أو أنها لن تنجح. هل يعتقدون هؤلاء اليهود بأن الدولة الثنائية القومية التي لدينا الآن (يقصد إسرائيل بين النهر والبحر) هي دولة سلمية وتعمل من أجل الفلسطينيين؟ إسرائيل اليوم هو كدولة ثنائية القومية تعمل لصالح اليهود، لكنها تعمل لصالحهم في الوقت الراهن، لست متأكدًا من أنها ستبقى تعمل لصالحهم على المدى الطويل أيضًا. وباعتقادي، فإن هذه هو العنصر المفقود في المعادلة.

سؤال : أريد أن أعود إلى هذه النقطة لاحقًا في المحادثة إذا كان لدينا وقت. ولكن اسمح لي أن أسألك الآن عن العلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل، هي علاقة سياسية. الولايات المتحدة تدعم إسرائيل منذ عقود، بشكل مطلق. ولكن، لا يزال بإمكاننا أن نرى من وقت لآخر بعض التباين في النغمة وفي الخطاب. مثلًا، كيف ترى التباين في

العلاقة إذا قارنّا بين الإدارة الأميركية الحالية (جو بايدن) والإدارة السابقة (ترامب)؟

الاختلافات سطحية. وكما قلت، هناك اختلافات في النغمة فقط. أعني أن ترامب سمح لإسرائيل عمليًا أن تفعل ما تريد، وقال لها إنه لا بأس في ذلك طالما أن هذا الأمر بالتوافق معه شخصيًا (أي ترامب). لأن الشيء الوحيد الذي كان ترامب يهتم به هو شخصيته السياسية. أعتقد أنه بالنسبة لبايدن فكأنه يقول لإسرائيل أن تفعل ما تريد لكن دون أن تتسبب له بالإحراج. لأنه لا يريد أن يقلق بأوراق الشرق الأوسط ويريد أن يركز تدخلاته في موضوع الصين. ولكن في النهاية، هناك استمرارية في السياسة الأميركية وليس اختلافات أو تعرجات. في نهاية المطاف، فإن حكومة الولايات المتحدة على استعداد لدعم إسرائيل بشكل مطلق خصوصًا عندما يتعلق الأمر بالقضية الفلسطينية. ولكن عندما يتعلق الأمر بإيران، فربما يكون الأمر مختلفًا. في الحالة الإيرانية، يبدو الأميركيون مستعدين لخوض جدال حقيقي مع إسرائيل حول ذلك. يمكننا التحدث عن أسباب ذلك. لكن في النهاية، هذا يعني أن لدى إسرائيل إلى حدّ كبير تفويضًا مطلقًا لتفعل ما تريد في ما يخص القضية الفلسطينية.

سؤال: تاريخيًا، ظلت وزارة الخارجية الأميركية لعقود طويلة تعتبر في سياساتها أن المستوطنات غير شرعية. لكن في مرحلة ما لا أذكر متى بالضبط، أصبحت المستوطنات عقبات أمام السلام أو شيئًا من هذا القبيل، وهذا تغيير واضح. حسب رأيك، ما هي وجهة نظر الإدارة الأميركية الحالية حيال حل الدولتين والمستوطنات؟ أنا لا أريد مناقشة حق العودة في هذه المرحلة ومع هذه الإدارة، لكن في ما يخص موضوع المستوطنات وحل الدولتين، إلى أي مدى هذه الإدارة لديها أي مصلحة في الوصول إلى حل أيا كان؟

لا أعتقد أنهم يفعلون ذلك. هم يقولون إنهم ضد المستوطنات، لكنهم بالفعل ليسوا كذلك. بشكل أساسي، إذا كانت الولايات المتحدة تمنح إسرائيل ٣,٨ مليار دولار دون قيد أو شرط، ويمكن لإسرائيل أن تفعل ما تشاء وأن تستخدم هذه الأموال لبناء المستوطنات والدفاع عن المستوطنات عسكريًا، فهذا يعني أن الإدارة الحالية ليست حقًا ضد المستوطنات. بالنسبة لي، فإن خطاب الولايات المتحدة الذي يدعو إلى دولة فلسطينية، خصوصًا إذا أخذنا بالاعتبار وجود لوبي يهودي أميركي منظم، هو وهم. هذه تمامًا شبيهة بحالة الشاب الذي يقول إن هدفه هو المشاركة في ماراثون والحصول على المركز الأول، لكنه في الواقع لم يفعل أي شيء للوصول إلى هذا الهدف... فهو يجلس طوال النهار على الأريكة يتناول الحلويات المحلاة بالشوكولاتة!! لذا، في الواقع، الولايات المتحدة تفعل عكس ما تعلن عنه تمامًا... في النهاية هذا خطاب وهمي.

رائف: هناك قول في الفلسفة يقول إن من يصمم على الوصول إلى غايات معينة عليه أن يمتلك الوسائل والأدوات. فإذا لم تملك الوسائل فهذا يعني أنك غير ملتزم فعلًا بالوصول.

نعم، فعلًا. إن الولايات المتحدة مرتاحة من الوضع الراهن. إنه وضع مريح بالنسبة لها. إن الدعوة (في الخطاب الوهمي) إلى دعم حل الدولتين هي طريقة للقول إنه لا يتعين علينا مواجهة ما هو واقع اليوم، لأننا نريد إقناع العالم بأن الواقع سيتغير يومًا ما. وهكذا يمكن للولايات المتحدة القول بأن الفلسطينيين سيكون لهم حقوق ذات يوم، وفي الوقت نفسه يمكنها أيضًا دعم إسرائيل. لكن في الواقع إنها مجرد طريقة مراوغة لقول ما يجعلك تشعر بالراحة ودعم ما هو موجود اليوم. وهذا صحيح بالنسبة لإدارة بايدن.

سؤال: لقد ذكرت ذلك سابقًا... هل يمكنك أن تفسر لنا ذلك؟ فلماذا الوضع بالنسبة للولايات المتحدة هو كذلك؟ ما هي الأسباب؛ أيديولوجية، أو روحانية، أو دينية، أو اقتصادية، أو عسكرية، أو.. أو...؟

أعتقد أن الأمر يختلف ما بين الديمقراطيين والجمهوريين. بالنسبة للجمهوريين، فإن إسرائيل هي نموذج لما يريدون أن تكون عليه الولايات المتحدة من نواحٍ عديدة. الأمر لا يمكن فقط رده الى مسألة المسيحية والشق الديني، على الرغم من أن هذا جزء من الأمر. أعتقد أنه أبعد من ذلك. عندما يفكر الجمهوريون في أي نوع من البلدان يريدون لأميركا أن تكون، فإنهم يريدونها أن تكون دولة تركز على السيادة، معادية للقانون الدولي، وتحافظ على طابعها الديمغرافي والديني العرقي والديمقراطي، لا سيما من خلال سياسة الهجرة، ويريدون الحفاظ على بعض الهرميات الموجودة داخل المجتمع. وبشكل أساسي، يريدون أيضًا أن تكون الولايات المتحدة ديناميكية

وحيوية من الناحية الاقتصادية، وهم يرون أن إسرائيل قد فعلت هذه الأشياء. ولذا أعتقد أن إسرائيل هي نموذج خصوصًا بالنسبة للتيارات الأميركية الموجودة في أقصى اليمين. مثلًا، آن كولتر (Ann Coulter)، على سبيل المثال، وهي إعلامية مؤثرة جدًا وعنصرية بشكل صارخ وتعتبر من أكبر مؤيدي ترامب، تقول: «لماذا لا نمتلك سياسة هجرة شبيهة بتلك التي تعتمدها إسرائيل؟ فنحن الأميركان نريد أيضًا أن نحافظ على هويتنا». أعتقد أن هذا دافع قوي للغاية بالنسبة لليمين.

الأمر مختلف بعض الشيء لدى الحزب الديمقراطي. بالنسبة للديمقراطيين هناك المزيد من الاهتمام بقيم المساواة بموجب القانون الذي يميل الديمقراطيون إلى دعمه أكثر. وهم على ما أعتقد، لديهم مصالح ورؤى سياسية، وهي مصالح قوية كانت تعمل داخل الحزب الديمقراطي منذ عقود عديدة. لكن هم لا يريدون أيضًا أن يتحولوا إلى منتقدي إسرائيل وبالتالي يتحولون إلى «معادين للسامية». بالتالي فإن الطريقة الأنسب هي فقط التعامل مع الوضع القائم كما هو ودعم السياسة والسلطة القائمة في إسرائيل. وباعتقادي أن التيارات التي تعارض الوضع القائم والموجودة داخل الحزب الديمقراطي ما تزال هشة وضعيفة للغاية. إنها لا تزال أضعف من أن تشكل حالة جديدة تمكنها من حث السياسيين الديمقراطيين على انتقاد إسرائيل بشكل أكثر فعالية مهما كلف الأمر.

سؤال: ومع ذلك، هل يمكننا رؤية أي تغيير داخل الحزب الديمقراطي من خلال صعود أصوات جديدة تتحدى على الأقل الهيمنة القديمة داخل الحزب الديمقراطي والتي تدعم إسرائيل بشكل أعمى ؟ أم أنهم لا يزالون في الهوامش فقط؟

التغييرات في ثقافة اليسار الأميركي والثقافة الأميركية ربما تكون شائعة أكثر قليلاً في وسائل الإعلام الأميركية أو في الجامعات الأميركية. في ما يتعلق بالفلسطينيين وحقوقهم هناك تغيير صاعد إلى حد ما وأعتقد أن هناك الكثير مما يجب أن فعله. ويرجع ذلك جزئيًا إلى وجود جيل من الفلسطينيين الذين ولدوا في الولايات المتحدة، وأعتقد أنهم جزء من اليسار الأميركي وهم جزء من الأشخاص الذين ندعوهم «الملونين» أيضًا. لديهم روابط عميقة قاموا بإنشائها. ثم أيضًا بسبب حركة Black Lives Matter، التي أجبرت وسائل الإعلام الأميركية على التفكير بجدية أكبر في المسائل المتعلقة بتمثيل الملونين (غير البيض). في ما يخص المسألة الإسرائيلية-الفلسطينية، انعكس تأثير هذا الحراك في كون أن هناك أصواتًا عديدة بدأت تشعر بالإحراج لأن الفلسطينيين مستبعدون من النقاشات العامة داخل الولايات المتحدة. وهذا ما أدى إلى التحول الذي رأيناه الربيع المنصرم. أصبح هناك شعور بأنك بحاجة للحصول على أصوات فلسطينية، وعندما تدخل أصوات فلسطينية في النقاشات الداخلية في أميركا، فإن النقاشات تتغير بشكل دراماتيكي.

إذن السؤال الذي يجب التفكير فيه هو ما إذا كان هذا التحول في الإعلام الأميركي وهذا التحول في الثقافة الشعبية سينعكس على الحزب الديمقراطي ويخترقه؟ ربما، لكن الأمر هو أن واشنطن تستطيع عزل نفسها عن بعض القضايا الحاصلة في العالم، ويرجع ذلك جزئيًا إلى أن نظامنا السياسي ليس ديمقراطيًا في كثير من النواحي. على سبيل المثال، انظر إلى موضوع الأسلحة وعنف السلاح داخل الولايات المتحدة. تريد الأغلبية الساحقة من الأميركيين فعل شيء ما بشأن عنف السلاح، لكن ذلك لا يحدث. لكن أنا متفائل أكثر من بعض الناس حول ما إن كانت هذه التغييرات في الثقافة الشعبية ستعني حتمًا حصول تحولات في الحزب الديمقراطي. الآن لديك رشيدة طليب وإلهان عمر، لكن معظم السياسيين الديمقراطيين ينظرون إليهم ويقولون: لماذا نحتاج إلى هذا الصداع؟

سؤال: نعم، العديدون في الولايات المتحدة لا يريدون أن يتم اتهامهم بمعاداة السامية أو شيء من ذلك القبيل. الأمر الذي يقودني إلى قضية معاداة السامية؛ استخدامها بشكل ملفق واعتباطي في العقد الأخير، خصوصًا بعد أن تبنت العديد من دول العالم بما فيها الولايات المتحدة مؤخرًا معايير «التحالف الدولي لذكرى المحرقة» (IHRA)، إلى أين تتجه هذه القضية في رأيك؟

أعتقد أنها كانت إستراتيجية فعالة للغاية. أعتقد أنه مع موت حل الدولتين، وبات المزيد من الناس مضطرين إلى التحرك، وهم المهتمون بالمساواة وحرية الإنسان، وكان عليهم التحرك أكثر للتفكير في فكرة دولة تسودها المساواة (دولة واحدة). ولأن الدولة الواحدة بالضرورة لن تكون دولة يهودية، فإن معاداة

إذن السؤال الذي يجب التفكير فيه هو ما إذا كان التحول في الإعلام الأميركي والتحول في الثقافة الشعبية سينعكس على الحزب الديمقراطي ويخترقه؟ ربما، لكن الأمر هو أن واشنطن تستطيع عزل نفسها عن بعض القضايا الحاصلة في العالم، ويرجع ذلك جزئيًا إلى أن نظامنا السياسي ليس ديمقراطيًا في كثير من النواحي.

السامية هي خطاب وأداة فعالة لطمس هذا التفكير الجديد الذي يدعو إلى المساواة.

هذا انحراف واضح. لأن ما يعنيه فعلًا ذلك الخطاب هو أن الشيء الوحيد غير الرجعي هو احتجاز ملايين الأشخاص دون حقوق أساسية. إنه انحراف أخلاقي سخيف، لكنه وسيلة لمنع خطاب معين (خطاب المساواة وحل الدولة الواحدة) من أن يؤخذ على محمل الجد. أعتقد أن هذا السبب الأساسي وراء انتشار خطاب معاداة السامية ونموه مؤخرًا. أعتقد أنه، بالنسبة لي، فالأمر مثير للغضب، لأنه في الولايات المتحدة على الأقل، وأماكن أخرى مثل ألمانيا، فإن تاريخ معاداة السامية فيها أدى إلى ان يمتلك اليهود سلطة معنوية باعتبارهم من نسل ذلك التاريخ الرهيب. لذا، فإن معاداة السامية تؤخذ على محمل الجد هنا!

من ناحية، أنا كيهودي سعيد بذلك لأنني لا أريد أن أعيش في مجتمع لا يهتم بمعادة للسامية وبالتالي يتغاضى عن مشاكل اليهود التاريخية. لكن من الناحية الثانية، ليس لدينا الحق في إساءة استخدام هذا الإرث الأخلاقي، إنه تدنيس لذلك الميراث الأخلاقي من خلال أخذه وتحويله وجعله وسيلة لاضطهاد الآخرين والتعصب الأعمى ضدهم. ولهذا السبب أردت أن أكتب عن معاداة الفلسطينيين (بشكل مشابه لموضوع معاداة السامية) إلى جنب معاداة السامية، لأن معاداة السامية بالأصل يجب أن تكون جزءًا من نضال أوسع ضد جميع أشكال التعصب والعنصرية، وليس ذريعة لتخليد الأمر فقط عندما يتعلق الأمر باليهود. هذا ما أصبح عليه الحال اليوم. هذا هو ما جاء مع تعريف الائتلاف الدولي IHRA.

سؤال: هل ترى أن هذه الإدارة الأميركية الحالية ستمضي قدما وتتبنى أيضا مواقف IHRA؟

نعم، على الأرجح. أعتقد أن الطريقة التي تنظر بها هذه الإدارة في ما يتعلق بموضوع معاداة السامية وتبني مواقف IHRA هي أنها (أي الإدارة الحالية) لا تريد خوض معركة بشأن هذه المسألة. لديها أمور أخرى تقلق بشأنها. وعليه، إذا تم الضغط عليها بشكل فعال لتبني مواقف IHRA ، فهي ستفعل ذلك لأنه ليس من أولوياتها خوض سجال أو معركة حول الأمر.

سؤال: حسنًا، دعني أسألك شيئًا عن اللوبي اليهودي والديناميات الحاصلة بين أوساط المثقفين اليهود. هل هناك تغييرات تحدث على الأقل بين أوساط جيل الشباب؟ هل يمكن أن نشهد أي تغيير في العلاقة مع إسرائيل؛ في دعم إسرائيل، وهل يشعرون بمزيد من التناقض ما بين قيمهم الليبرالية (التي قد تدعو إلى المساواة) وما بين دعمهم لإسرائيل؟ مثلًا، تقرير هيومن رايتس ووتش يقول - وهذه المنظمة لا تطلق دعايات وإنما تعتبر الخط السائد المعترف به في ما يتعلق بحقوق الإنسان- تقول إن إسرائيل تمارس الفصل العنصري. هل يمكنك مشاهدة أي تغييرات طفيفة في الحالة المزاجية بين أوساط الجيل الشاب من اليهود في هذا الصدد؟

نعم، أعتقد أن هناك اتجاهين. الاتجاه الأول يقول إن اليهود الأميركيين الأصغر سنًا هم ببساطة أكثر اندماجًا في المجتمع الأميركي، وبالتالي هم أقل ارتباطًا بدولة إسرائيل. أميركا هي مجتمع اندماجي، وكلما زاد اندماج الجيل الجديد من اليهود كلما قل اهتمامهم

بإسرائيل. إنه تمامًا مثل الأميركي من أصول إيطالية، فعند سؤاله عن مدى اهتمامه بالسياسة في إيطاليا، أو أي نوع جبنة يحب، فهو لن يتحدث كأيطالي وإنما كأميركي. لذلك، هناك مجموعة صغيرة تميل إلى الاهتمام أكثر بكونها يهودية وتهتم أكثر بإسرائيل لكنها تشعر أنها تتعارض مع قيمها الليبرالية. مثلًا، هناك مجموعات مثل «إن لم يكن الآن» (If not now)، وهؤلاء الأشخاص مهمون وهم يتنظمون ويشكلون تحديًا. إنهم يحاولون تحدي الجيل السابق وتحدي المؤسسات الفاعلة في أوساطهم.

تكمن المشكلة، في اعتقادي، وهذه هي المفارقة، في أنهم من حيث التأثير يمتلكون نظرة كونية (universalistic). ولأنهم كذلك من الناحية الأخلاقية، فهم لا يركزون كل اهتمامهم فقط على ما تقوم به إسرائيل. فإذا ذهبت إلى حرم جامعي وتحدثت إلى الطلاب اليهود اليساريين، فإن السؤال الملح أمامهم ليس «لماذا لا ندعم إسرائيل؟ الحكومة الإسرائيلية؟» وإنما «لماذا لا أركز على تغير المناخ؟» أو لماذا لا أركز على إنقاذ الديمقراطية الأميركية من الحزب الجمهوري؟ إذن هذه هي المشكلة. أما اليهود على اليمين في أميركا فهم أكثر قبَلية، وهم أكثر تركيزًا على موضوع إسرائيل نفسها. هذا يعني أنهم يتمتعون بثقل سياسي أكبر.

بالإضافة إلى ذلك، في الولايات المتحدة، كما في إسرائيل، فإن النسبة الأكبر من اليهود هم من الطائفة الأرثوذكسية. لذلك على الرغم من أن معظم اليهود الأميركيين الشباب علمانيون إلى حدّ ما، وتقدميون إلى حدّ ما، إلا أن أولئك الذين يهتمون أكثر من غيرهم في الشؤون السياسية، خاصة في ما يتعلق بإسرائيل، هم من المجتمع الأرثوذكسي، وسيكونون هم الذين سيتولون مناصب في المنظمات اليهودية الأميركية. وفي هذا المجتمع، هناك مجتمع يحب دونالد ترامب ويحب بنيامين نتنياهو وسيكون له تأثير سياسي كبير. لذلك عندما يتحدث الناس عن اليهود الأميركيين الشباب، فإنهم يميلون إلى التركيز على هؤلاء الشباب اليساريين غير الأرثوذكس، بينما هناك الكثير من اليهود الأرثوذكس الشباب الذين نشأوا في فترة أكثر يمينية، وسوف يلعبون دورًا كبيرًا في السياسة الأميركية، وسوف يدعمون منظمات مثل AIPAC حتى في صغرهم. حتى إذا توقعنا أن أبناء الشخصيات اليهودية المتنفذة داخل AIPAC سوف لن يحذوا حذو آبائهم لأنهم أكثر علمانية، فإنه سوف يأتي أشخاص جدد كليًا، وشبان جدد، من أوساط الجماعات اليهودية الأرثوذكسية الشباب ويدعمون AIPAC وربما يأخذونها الى أماكن أكثر يمينية من الآن.

رائف: أنت تصف شيئًا مشابهًا إلى حد ما لما يحدث في إسرائيل، بمعنى أن اليهود الأرثوذكس في إسرائيل يتحولون أكثر نحو الصهيونية، بينما ان اليهود العلمانيين الذين أسسوا الدولة في أفول.....

نعم صحيح. نحن هنا في الولايات المتحدة لدينا نسختنا الخاصة من هذا السيناريو. في السابق، كان الأمر أن القيادة اليهودية الأميركية كانت مكونة من أشخاص علمانيين قبليين، ويهوديتهم تكمن في الدفاع عن إسرائيل والشعب اليهودي. الآن، أصبح سائدًا أكثر أن تستند هذه المشاعر القومية (الانتماء إلى الصهيونية) إلى التقاليد وإلى التقيد الديني باليهودية الأرثوذكسية بشكل متوازٍ. المجتمع الأرثوذكسي هنا {في الولايات المتحدة} والمجتمع الأرثوذكسي في إسرائيل هما الأكثر ترابطًا مع بعضهما البعض. اليهود الإسرائيليون العلمانيون واليهود الأميركيون العلمانيون أكثر بعدًا عن بعضهم البعض. ولكن المزيد من اليهود الأميركيين الأرثوذكس، بشكل عام، يذهبون لقضاء عام في المدرسة الدينية في إسرائيل بعد المدرسة الثانوية، ومن المرجح أن يكون لديهم عائلة في إسرائيل، ومن المرجح أن يفكروا في الهجرة لإسرائيل «عليا». لذا فإن التقاطع بين المتدينين الأرثوذكسيين أقوى، ومرئي أكثر. مثلًا، لننظر فقط إلى تجربة حياة نفتالي بينيت، أو رون ديرمر (Ron Dermer)، أعني أنك ترى هذا الترابط العابر للحدود والقوي للغاية.

سؤال: حسنًا، وإذا جئتك بسؤال كبير كالتالي: ما الذي يتطلبه إنجاز تغيير ما في ظل كل هذا الجو الغائم؟ أنا أعني أن أميركا والغرب يدعمون إسرائيل حاليًا، هل هذا يعني أن على الفلسطينيين الانتظار لحين حدوث خلل ما في توازن القوى العالمية بحيث يقل نفوذ الولايات المتحدة كقوة عظمى. ما هي فرص التغيير في ضمن هذه التشكيلة القائمة، ولا نريد أن ننتظر إلى حين أن تصعد الصين أو الهند كقوى عظمى؟ مع أنني شخصيًا لست متفائلًا بتحسن الأوضاع في حال صعود الصين كقوة عظمى أولى.. فلربما نشتاق إلى الإمبريالية الأميركية في حينها؟

تكمن المشكلة، في اعتقادي، وهذه هي المفارقة، في أن الشبان اليهود اليساريين من حيث التأثير يمتلكون نظرة كونية. ولأنهم كذلك من الناحية الأخلاقية، فهم لا يركزون كل اهتمامهم فقط على ما تقوم به إسرائيل. فإذا ذهبت إلى حرم جامعي تجد السؤال الملح أمامهم هو «لماذا لا أركز على تغير المناخ؟» أو لماذا لا أركز على إنقاذ الديمقراطية الأميركية من الحزب الجمهوري؟. أما اليهود على اليمين فهم أكثر قبَلية وتركيزًا على موضوع إسرائيل نفسها.

أعتقد أن محاولة الإجابة على هذا تبدأ من طرح تساؤل يقول: من لديه المصلحة الأكبر لتغيير الوضع الراهن؟ إنهم الفلسطينيون، لأنهم هم الذين يتعرضون للقمع. انظر، ليس من حقي وأنا أجلس في الجانب الغربي من نيويورك، أن أقول للفلسطينيين على الأرض والذين يعانون ما يعانون ما الذي يتوجب عليهم فعله. من الواضح أن تكلفة المقاومة على الفلسطينيين باهظة، وحتى هائلة. لكن إذا كنت تريد أن تسألني ما الذي سيغير الأمور في أميركا، فإنني أود أن أقول أن المقاومة الفلسطينية على الأرض هي التي ستدفع إلى تغيير الأوضاع... لأنه بدون مقاومة فإن الأميركيين لن ينتبهوا للأمر! عندما يقاوم الفلسطينيون على الأرض، يصبح الأمر مشكلة في أميركا. ثم سيجد الأميركيون أنفسهم مضطرين للتدخل.

إذا فكرت في جنوب أفريقيا في الثمانينيات، فقد كان حزب المؤتمر الوطني الأفريقي (ANC) والجبهة الديمقراطية المتحدة (UDF) يفعل العكس تمامًا مما تفعله السلطة الفلسطينية اليوم. هذان الحزبان، وبدلاً من جعل الحياة أسهل على السلطات الحاكمة والمستعمرة، فإنهم فعلوا كل ما في وسعهم لجعلها أكثر صعوبة، ودفعوا لقاء ذلك ثمناً باهظاً. بل إنهم ما زالوا يدفعون ثمن ذلك حتى الآن. في حينها، كان العواقب الآنية للمقاومة وخيمة، لكنها أيضًا رفعت وبشكل كبير التكلفة على الحكومة الإفريقية (نظام الأبارتهايد)، كما أن المشهد على الأرض، وفعل المقاومة منح زخمًا للحركة المناهضة للفصل العنصري وقام بحمايتها. وبالتالي، طالما أن هناك سلطة فلسطينية تحافظ على الهدوء في كل شيء، أعتقد أن هذا سيحد من قدرة العالم على الالتفاف حول القضية الفلسطينية.

ترجمتها عن الإنكليزية: فاطمة عبد الكريم